الرياض

أصوات

سلطان أعلنها صريحة

محمد رضا نصر الله

**قبل أيام سربت جريدة واشنطن بوست، واسعة الانتشار القريبة من دوائر صنع القرار الأمريكي؛ أنباء عن اختلاف القادة السعوديين مع الإدارة الأمريكية حول استخدام قاعدة الأمير سلطان العسكرية في الرياض، لقيادة الضربة العسكرية الوشيكة على أفغانستان.

كان هذا الموقف السعودي متوقعاً عند العارفين ببواطن السياسة السعودية وظواهرها.

صحيح أن العلاقة السعودية الأمريكية، تمتاز بصداقة تقف على امتداد نصف قرن، منذ منح الملك عبدالعزيز امتياز اكتشاف النفط لشركات أمريكية.. لكنه فعل ذلك بدوافع سياسية وطنية، حين سحب الامتياز من شركات بريطانية، هدف منه الابتعاد عن أي ضغوط قد تمارسها بريطانيا التي كانت حينها عظمى، على حليفتها الدولة الناشئة في الجزيرة العربية.. ومن يقرأ المراسلات والوثائق المتبادلة بين المملكة وبريطانيا، سوف يكتشف فوراً، ملامح خلاف حاد بين الملك عبدالعزيز والبريطانيين بسبب الموقف من القضية الفلسطينية، إضافة إلى إصرار المملكة على تمتعها بحريتها الكاملة في اتخاذ القرار الذي يخدم مصلحتها الوطنية، وقضاياها العربية والإسلامية.

**ومع تطور العلاقة السعودية الأمريكية على خلفية الحرب الباردة بين واشنطن وموسكو، حيث كان للمملكة موقف حاد من محاربة الشيوعية أيام الملك فيصل، إلا أنه حين جد الجد، واقتضت المصلحة العربية، دعماً سعودياً على الصعيد الاستراتيجي والسياسي والاقتصادي؛ مالت كفة الميزان للموقف العربي ميلاً ثقيلاً أزعج الإدارة الأمريكية، واستفز مشاعر وزير خارجيتها الصهيوني هنري كيسنجر، وهو يرى الحكومة السعودية تشكل رقماً ثابتاً، في حرب المصريين والسوريين ضد الإسرائيليين في اكتوبر المجيدة.. فلم يكن يتصور أحد في امريكا ولا في العالم العربي، ان تقف هذه الدولة الموصوفة بالرجعية أيام المد التقدمي، هذا الموقف القومي الحاد فيتوقف إمداد بترولها عن الغرب.

هذا الموقف تجدد هذه الأيام في عهد الملك فهد، حيث رفض ولي عهده الأمير عبدالله زيارة واشنطن اثر وصول الإدارة اليمينية إلى البيت الأبيض، بعد ما لمس السعوديون لمس اليقين انحيازاً أمريكياً غير

مسبوق مع الحكومة الإرهابية في تل أبيب.. بل ان الأمير عبدالله وجه رسائل صارمة باسم بلده وأمته، إلى الحكومة الأمريكية، من أجل إعادة نظرها المتحيز ضد القضايا العربية..

وحين اندلعت التفجيرات الإرهابية في واشنطن ونيويورك، كان أول صوت شجاع لفت الإدارة الأمريكية إلى حالة التحامل الهستيرية ضد الإسلام والعرب، هو صوت المملكة بلسان الأمير عبدالله، الذي أكد في محادثاته ورسائله الأخيرة، على ضروة النظر الأمريكي في أساس الاضطراب العالمي بين الشرق والغرب، والعرب والمسلمين والأمريكان،متمثلا في انسداد الحل أمام المأساة الفلسطينية الدامية.

**وإذ التبس الأمر عند بعض المتصيدين، حول موقف المملكة في التحالف الدولي مما جرى مؤخرا من أعمال إرهابية، أكدت الرياض وقوفها مع المجتمع الدولي ضد الإرهاب.. لكنها لم توقع شيكاً على بياض لأحد.. فهذا هو الرجل الثالث ووزير دفاع المملكة ومفتشها العام الأمير سلطان بن عبدالعزيز، يعلنها صريحة بعدم قبول جندي أجنبي على أراضينا لمحاربة العرب والمسلمين.. واختار سموه ملتقى شعبياً في القصيم وسط الجزيرة العربية، وهو يستقبل المواطنين في بيته على حفلة عشاء ليقول بالنص "انه لا يوجد اتفاق عسكري بين المملكة وأمريكا أو أي دولة أجنبية أخرى.. وأضاف "ولا نقبل في بلادنا ولو جندياً واحداً يحارب المسلمين أو العرب."

**وكان الأمير سلطان واضحاً وصريحاً، حين استرجع الشريط المؤلم باستضافة المملكة لبعض القوات في كارثة الثاني من اغسطس سنة 1990م، بعدما ابتليت في نفسها، وتعرض أمنها الوطني للخطر، وعند انتهاء المشكلة بزوال الخطر، تم سحب جميع القوات حيث لا يوجد حالياً أي جندي غير سعودي في بلادنا.

واختتم الأمير سلطان كلامه إلى الأهالي قائلا:

"هذا كلام رجل مسؤول أمامكم.. ابعدوا أي كلام آخر يقال وحطوه ـ أي ضعوه ـ وراء ظهوركم وأهل البلاد أول من نستشير ولو صارت أي مشاكل لا سمح الله أنتم أول من يؤخذ برأيكم في بلادكم ووطنكم وثروتكم."

نعم.. حين تحتاج بلادنا إلى مواقف قادتها الحاسمة في الأمور المدلهمّة، نجدهم ينحازون إلى صف شعبهم وقضاياه وإرادته الوطنية.. وصح لسانك يا سلطان بن عبدالعزيز، على بلورة هذا الموقف الوطني الأصيل المأمول، فأنتم من الشعب وإلى الشعب.. هكذا عودتمونا في اللحظات الوطنية والأحداث الجسام.